

رحيلُ غيرُ مُتَّفَقٍ عليه

ربَّما لا تكون قصيدة، ولكنها همسةٌ وفاء لروح صديقي المربي الفاضل والشاعر/أ. (معتوق العيثان.. أبي عبد الله) رحمه الله تعالى.

رحيلُكَ لن أُوَفِّيَهْ عَزَاهُ

ولو أفرغتُ روعيَ في رثَاهُ

ذبيحُ الذكرياتِ أنا، وشعري

خلاصةُ ما تدفَّقَ من دَمَاهُ

وصوتُ الحبرِ ليسَ سوى دعاءٍ

يؤمِّلُ أن تعودَ على صَدَاهُ

رحيلُكَ غيرُ مُتَّفَقٍ عليه.

وما حَدَّثْتَنَا عَنْ منتهاه!!

متى تاريخُ عودتِكَ المُرجَّي؟!

أَتَذَكِّرُهُ الإيابَ بها اشتباهُ؟!

أسألكُ عنكَ (عبد الله) يبكي..

كَأَنَّ الدَّمْعَ صَارَ لَهُ أَبَاحٌ !!

فِيَا مَنْ لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ فِيْنَا

(أَنْزَا) حَتَّى تَنَازِلَ عَنْ (أَنْزَاهُ)

مَا كُنَّا نَسِيرُ مَعًا! لِمَاذَا أَنْ-

عَظَفْتِ! وَسَارَ كُلٌّ فِي مَدَاهُ!؟

خَتَمْتَ الْمَسْرُوحَةَ؟! أَمْ تَنْزَاهِي

بِرَّكَ الدَّوْرُ الْقَدِيمُ لِمَا تَلَاهُ؟

رَحِيلُ لَا يُفَسِّرُ.. غَيْرَ أَنْزَا

نُفَسَّرُهُ لِنَنْجُوَ مِنْ لَطَاهُ

خَبَرَ نَا الْحُبَّ فِي فُورِنِ الْأَمَانِي

وَأَطَاعَ مَنْزَا الْمَشَاعِرَ مِنْ قِرَاهُ

وَحَانَتْ نَارُ ذَاكَ الْفُورِنِ حَتَّى

بَكَى الْخَبَّازُ وَاحْتَرَقَتْ يَدَاهُ

عَالِكُ النِّعَشِ زَعُوبَةٍ حَامِلِيهِ

فَأَنَّ الرَّمْلُ أَزْهَى مَنِّ حَثَّاهُ

جِرَاحِيْ فَيْكَ شَتَّى حَيْثُ جَرَحُ

أَرَاهُ، وَحَيْثُ جَرَحُ لَا أَرَاهُ

وَمِثْلِيْ مَنِّ يُعَزِّزْنِيْ فَيْكَ صَبْرًا

فَحَالِيْ حَالُ مَنِّ دَفَنُوا أَخَاهُ

أَحَقُّ لَن تَطَوَّوْا قَنِيْ بَزَنْدٍ

غَنِيَّتُ بِهِ وَشَدَّادًا عَن سَوَاهُ ؟!

وَلَن يَنْسَابَ لِيْ مِنْكَ الْمُحَايَا

بِدِشْرِ كُنْتُ أَصْبَحُ فِي زَدَاهُ ؟!

وَلَن تَسْتَنْهَضَ الْفُوحَى فَتَأْتِيْ

إِلَيْكَ، وَكُلُّ حَرْفٍ فِي قُورَاهُ ؟!

ذَبِيحُ الذِّكْرِيَّاتِ أَنَا؛ ذَبِيحُ

بَطَافٍ مِنْكَ لَوَّحَ مِنْ عُلَاهُ !

يَـزْـمَـجِرُ دَاخِلِي نَهْرُ الْمَعَانِي

وَلَكِنْ الصَّخُورَ تَسْدُ فَاهُ

إِذَا مَا لَاحَ شَخْصٌ مِنْكَ سَمَّجُ

وَسَمَّ رَنِي إِلَيْكَ الْإِنْتِبَاهُ :

رَأَيْتَكَ مَعْجَمَ الْأَخْلَاقِ يَمْشِي

عَلَى قَدَمَيْهِ .. يَقْصِدُ فِي خُطَاهُ !

رَأَيْتَكَ زَمَزَمَ الْإِيمَانَ يَجْرِي

بَطْنُهُ لَيْسَ تَحْوِيهِ الْمِيَاهُ

فِيَا رُوحَ الْفَضِيلَةِ فِي زَمَانٍ

يَكَادُ نَهَارُهُ يَنْعَى ضُحَاهُ

رَعَى الزُّهْدُ الْمُقَدَّسُ مِنْكَ قَلْبًا

فَلَمْ تَأْخُذْ نَصِيْبَكَ مِنْ هَوَاهُ

أَلْـبَـسْتِ زَفَـفَـسَكَ غَيْرَ ثَوْبٍ •

على تقواك قد زُررتْ عُراهُ !

شديدٌ في بياضك، لا تُعادي

ليَنسربَكَ السوادُ إلى عِداهُ !

جَمالُكَ لا يُرى جَمعًا، ولكنْ

لكُلِّ ما استطاعتْ مُقلّتاهُ

ولو جَمَعَتْ عيونَ الناسِ عينُ

رَأَتْكَ كما تَصَوَّرَكَ الإلهُ !

يتيهُ بنا الوداعُ وقد دخلنا •

مساحتَه، وَيَتَّسِعُ المَتَاهُ

فَمَنْ أودَى بحُلُمِكَ في ربيعٍ؟!

وفضَّ الوردَ مُفْتَرَسًا شذاهُ؟!

وأغلقَ بابَ عُمرِكَ في الليالي

على قَدَرٍ تعجَّلَ في قَضاهُ؟!

وَمَنْ أَرَادَ السُّدُولَ عَلَى التَّجَلِّي

فَأُطْفِئَ مَا تَدْوَوَّرَ مِنْ بَهَاهُ؟!

نَفْضُ نَا مِنْكَ أَيْدِينَا وَعُدُّ نَا

تُؤَوِّدُ نَا عَلَى ذِكْرِكَ آه!!

وَمَا نَفِضَتْ - مِنْ الْحُبِّ - الْحَنَانَا

وَلَا نَفِضَتْ - مِنَ الذِّكْرِ - الشَّيْغَاهُ

فَمَا زِلْنَا نُوَوِّدُ نَا مِنْكَ طَيْفًا

يُشْرِعُ بِذِكْرِيكَ فِي رُؤَاةٍ

نَحَاوِلُ أَنْ نَضِيءَ الْوَقْتَ مَهْمَا

خَبَا قَبَسُ الْحَقِيقَةِ مِنْ سَدَاهُ

لَنَا فِي الْمَوْتِ بَوَصْلَةٌ، وَلَكِنْ

نُؤَوِّجُّهَا، وَلَيْسَ لَهَا اتِّجَاهُ!

مَسَافَاتُ هِيَ الدُّنْيَا، وَلَيْلُ

شَرِيدُ مِنْ دُجَاهُ إِلَى دُجَاهُ

ونحنُ سُرّاءُ هذا الليلِ قِدمًا

نموتُ إذا نُفِـرَ طُ في سُرّاهُ